الفصل الرابع

الشعراء الجاهليون وطبقاتهم

كل قبيلة كانت تحرص على أن يكون لها شاعر وقائد وخطيب، ولكن الشاعر كان أكرم عليها وأحب إليها من هذين. فكانت إذا نبغ فيها شاعر تصنع الولائم وتقيم الأفراح وتهنئها القبائل. وذلك لأن الشعراء يقودون قومهم بقولهم، وينضحون عنهم يوم حفلهم، ويخلدون مآثرهم على الدهر، وينقشون مفاخرهم في الصدور، لا يبتغون على ذلك جزاء ولا صلة. على أن نفراً منهم تكبوا بالشعر فغض ذلك من أقدارهم، وإن لم يغض من أشعارهم، كالنابغة مع النعمان، وزهير مع هرم بن سنان، والأعشى مع الملوك والسوقة[1] وكان لكل شاعر راوية يلازمه ملازمة التلميذ لمعلمه. ينهج طريقه وينشر شعره. ونابغو الشعراء قضوا عهد الثقافة والمرانة في الرواية، فكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الإيادي، وزهير راوية أوس بن حجر، والأعشى راوية المسيب بن علس.

والشعراء باعتبار الزمان أربع طبقات:

جاهليون: وهم من عاشوا قبل الإسلام أو أدركوه ولم يقولوا فيه شيئاً يُذكر، كامرئ القيس وزهير وأمية ابن أبي الصلت ولبيد.

ومخضرمون: وهم الذين اشتهروا بالشعر في الجاهلية والإسلام، كالخنساء، وحسان بن ثابت.

وإسلاميون: وهم الناشئون في الإسلام الباقون علي سليقتهم في العربية، وهم شعراء بني أمية.

ومولدون: وهم الذين فسدت فيهم ملكة اللسان فعالجوها بالصناعة وهم شعراء بني العباس.

---

(1) انتجع الأعشى أطراف البلاد بشعره حتى قصد ملوك العجم فأثابوه. وفي ذلك يقول:

وطوفت للمال آفاقه عمان وحمص وأورشليم

أتيت النجاشي في أرضه وأرض النبيط وأرس العجم

وهم باعتبار الإجادة في رأي النقاد ثلاث طبقات: امرؤ القيس وزهير والنابغة، وهم رجال الطبقة الأولى. والأعشى ولبيد وطرفة؛ وهم رجال الطبقة الثانية، وعنترة ودريد بن الصمة وأمية ابن أبي الصلت، وهم رجال الطبقة الثالثة. وهذا التقسيم لا يخلو من ضلال وتحكم، لاختلاف الذوق وجهل القدماء بقواعد النقد.

امرؤ القيس

نشأته وحياته

هو الملك الضِّليل ذو القروح جندح ابن حجر الكندي، ولد أُثيلَ المنبت كريم الأبوة والأمومة: فأبوه سليل الملوك من كندة، وملك بني أسد. وأمه أخت كليب ومهلهل ابني ربيعة. فشب في حجر النعيم ودرح في مهد السراوة؛ إلا أنه نشأ نشأة الغواة يعاقر الراح ويغازل النساء ويعشق اللهو ويقول الشعر. ثم أطلق لنفسه العنان في المجون، وقعد عما تسمو إليه النفوس الكبيرة فطرده أبوه، وكان أصغر أولاده. فخرج في زمرة من أخلاط العرب وذؤبانهم يرتادون الرياض والغُدُر. فإذا صادفوا غديراً خيموا عليه وطفقوا يلعبون ويعاقرون ويصيدون؛ حتى إذا نضب الماء وذوى العشب تحولوا عنه إلى غيره. ولم تزل تلك حاله حتى بلغ بهم دمون من أرض اليمن. وهناك أتاه نعي أبيه وقد قتله بنو أسد غيلة لاستبداده بهم وسوء سيرته فيهم. فقال امرؤ القيس: " ضيعني أبي صغيراً، وحمَّلني دمه كبيراً. لا صحو اليوم ولا سكر غداً. اليوم خمر، وغداً أمر" ثم آلى ألا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً ولا يدَّهن بدهن حتى يقتل من بني أسد مائة ويجز نواصي مائة. فلما أجنه الليل شام برقاً فقال:

أرِقتُ لبرقٍ بليلٍ أهَلْ ... يُضيء سَناهُ بأعلى الجَبَلْ

أتاني حديث فكذّبتُهُ ... بأمرٍ تزعزعُ منه القُللْ

بقتل بني أسَدٍ ربّهُمْ ... ألَا كلّ شيءٍ سواه جَللْ

فلما كان من الغد استنجد أخواله بكراً وتغلب وسار إلى بني أسد فأوقع بهم. ثم طلبوا أن يفدوه بمائة من وجوههم فأبوا، فتخاذلت عنه بكر وتغلب. وطلبه المنذر ابن ماء السماء لموجدة كانت في نفسه على قومه، وأمده كسرى أنوشروان بجيش من الأساورة فتفرقت جموعه خوفًا من المنذر. وسار هو في القبائل يطلب النصر حتى سارت عليه وجوهه. فلجأ إلى السموأل بن عادياء اليهودي فاستودعه دروعه وطلب منه كتاباً إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني ليوصله إلى قيصر. فلما بلغ قيصر الروم وهو يومئذ جستنيان أكرم وفادته

وطمع أن يكون امرؤ القيس قوة له في العرب، يربص له الأمور ويضعف نفوذ الأكاسرة. فجهزه بجيش وسيره، ثم بدا له فأعاده. ونزلت بامرئ القيس علة جلدية فتقرح جسمه وتهرأ لحمه. والمؤرخون يزعمون أنه لما فصل بالجنود دخل الطماح الأسدي على قيصر فوشى به وحمله عليه انتقاماً منه لقتله أباه. فبعث إليه قيصر بحلة وشى مسمومة وقد بلغ أنقرة من بلاد الروم فأصابه ما أصابه. ويستدلون على ذلك بقوله:

لقد طمح الطماح من نحو أرضه ليلبسني من دائه ما نلبسا

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة فيالك نعمى قد تحولت أبؤسا

فلو أنها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا

ولما غشيته سكرة الموت قال: رُبَّ جَفْنَة مُثْعَنْجِرَة ، وطَعْنَةٍ مُسْحَنْفِرَة[1]؛ وخطبة محبرة، تبقى غداً بِأَنْقِرَة! ثم مات ودفن بجبل عسيب سنة 590م.[2]

شعره

نشأ امرؤ القيس نجدياً وإن كان يمنياً، فترعرع بين بني أسد في صميم العرب الخلَّص، فسمع الأشعار ورواها، وتطلعت نفسه إلى مساجلة الشعراء فقال الشعر على حداثة سنه. وكان جزل الألفاظ كثير الغريب جيد السبك سريع الخاطر بديع الخيال بليغ التشبيه. وقد فتقت الأسفار والأخطار والمخالطة قريحته فاستنبط المعاني الجديدة، ونهج المذاهب الحديثة. وارتسمت في شعره مُحدثات عصره فنسبت إليه لنبوغه وتفوقه وجاهه. فقالوا إنه أول من وقف على الأطلال وبكى على الديار وشبَّب بالنساء، وشبههن بالمها والظباء، وأجاد وصف الليل والخيل لإدمان ركوبه وكثرة أسفاره. وإنك

---

(1) قلت: المُثْعَنْجِرَةُ : المَلأَى تُفِيضُ ودَكَها .

والمُثْعَنْجِرُ والمُسْحَنْفِرُ: السيل الكثير؛ واثْعَنْجَرَتِ السحابة بِقَطْرها واثْعَنْجَرَ المطر نفسه يَثْعَنْجِرُ اثْعِنْجاراً.

(2) من الغلو أن تحدد التواريخ لوفيات الشعراء والخطباء من الجاهلين فإن القوم لم يكونوا على شيء من العلم بتاريخ ولا بغيره، وإنما كانوا يؤرخون بحوادثهم المعروفة.

لتجد في شعره صورة كاملة من حياته وخلقه. ففيه عزة الملوك، وتبذل الصعلوك، وعربدة الماجن، وحمية الثائر، وشكوى الموتور، ودلة الشريد. وهو بإجماع الرواة زعيم الجاهليين للأسباب التي مرت بك.

نماذج من شعره

من خير ما أُثِرَ عنه معلقته التي سارت في الناس مسير المثل. نظمها في حادثة وقعت له مع ابنة عمه عنيزة، ثم استطرد إلى وصف الليل ونعت الفرس وذكر المجون والصيد. قال في مطلعها:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُول فَحَوْمَلِ

وقد مر شيء منها في النماذج. ومنها في الغزل:

أفاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وإِنْ كُنْتِ قَدْ أزمعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

أغرك مني أن حبَّك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

فإن كنت قد ساءتك مني خليقة فسُلِّي ثيابي من ثيابك تنسل

تسلَّت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادي عن هواها بمنسَل

وقال من قصيدة يذكر فيها رحلته مع عمرو بن قميئة إلى قيصر:

إِذا قُلتُ هَذا صاحِبٌ قَد رَضيتُهُ وَقَرَّت بِهِ العَينانِ بُدِّلتُ آخَرا

كذلك جَدّى: لا أصاحب واحداً من الناس إلا خانني وتغيرا

تذكرت أهلي الصالحين وقد أتت على جمل بنا الركاب وأعفرا

ولما بدت حوران والآل دونها نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا

تقطع أسبابُ اللُّبانات والهوى عشية غادرنا حَماة وَشيزَرا

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فَقُلتُ لَهُ: لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنّمَا نحاوِلُ مُلْكاً أوْ نُموتَ فَنُعْذَرَا

النابغة الذُّبْيَانِيّ

نشأته وحياته

هو أبو أمامةَ زياد بن معاوية، ولُقِبَ بالنابغة لأنه لم يقل الشعر حتى احتنك، ثم فجئ الناس بشعر بذّ به الشعراء وكان له منه مادة لا تنقطع فشبهوه بالماء النابغ. وهو أحد سَرَاةِ بني ذُبيان ومن ذوي مَثالتهم، ولكن تكسبه بالشعر غض من قدره وطأطأ من إشرافه. اتصل بالنعمان بن المنذر فاستخلصه إليه وأسبغ نعمته حتى أكل وشرب في آنية الذهب والفضة من جوائزه. وما زال النابغة يَتَبَسّط على النعيم، ويَتَفَيَّأ ظلال الخفْض، حتى دَرج بالنميمة بينهما بعض حساده متذرعين إلى الوشاية بقصيدته في وصف المتجردة زوج النعمان. فوقَرَت السعاية في نفس الملك فتوعده، فنجا الشاعر بنفسه إلى الشام ولاذ بعمرو بن الحارث الأصغر الغساني، فنزل منه جناب مريع وأمن شامل، فزاد ذلك في حقد النعمان عليه لالتجائه إلى أعدائه ومنافسيه. ومازال النابغة عند بني غسَّان يصلهم بالدر ويصلونه بالذهب حتى بلغه أن النعمان عليل، فرجع يطلب الشفاعة إليه، ويرجو البراءة عنده، مقدماً بين يديه مع شفيعه تلك القصائد الخالدة في الاعتذار، فاستلَّت ما في نفس الملك وأحلَّته منه في المكان الأول، وبقى في حال حسنة حتى أرعشه الكِبر وقيده الهرَم وسئم الحياة وقال:

المرءُ يأملُ أن يَعيشَ ... وطولُ عيشٍ قد يضرّهْ

تفنى بشاشتهُ ، ويبقى ... بعدَ حلوِ العيشِ مرهْ

وتَخونُهُ الأيّامُ، حتَى ... لا يَرَى شيئاً يَسُرّهْ

كَم شامتٍ بي، إن هلكتُ ... و قائلٍ : للهِ درهْ

وكانت وفاته في السنة الثامنة عشرة قبل الهجرة.

شعره

النابغة أحد فحول الشعراء الثلاثة الذين لا يُشَقُّ غبارهم، ولا تلحق آثارهم، وهم: امرؤ القيس، وهو، وزهير. ويمتاز من صاحبيه ببديع كنايته، ودقيق إشارته، وصفاء ديباجته، وقلة تكلفه، وموافقة شعره لهوى النفوس. ولهذا لم يغنّ الناس بشعر أحد في الجاهلية وصدر الإسلام بمثل ما غدوا به من شعره. وقد أحاد في وصف ليل الخائف، واعتذار الجاني، ومدح المنعم، إجادة لا يتعلق بها درَك، إلا أنه كان يُقوِي[1] في شعره ويقول: إن في شعري عاهة لا أدريها؛ حتى سمع مغنياً بأبيات من شعره فيها إقواء، ففطن إلى ذلك ولم يعد إليه. وقد عرف شعراء العرب له تلك المكانة السامية في الشعر فقدموه في عكاظ واحتكموا إليه في الخصومات الأدبية فكان يقضي بينهم موفّقَ القضاء مطاع الحكم.

نموذج من شعره

قال من قصيدته في مدح عمرو بن الحارث الغساني:

كِليني لِهَمٍّ يا أُمَيمَةَ ناصِبِ ... وَلَيلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكَواكِبِ

تَطاوَلَ حَتّى قُلتُ لَيسَ بِمُنقَضٍ ... لَيسَ الَّذي يَرعى النُجومَ بِآئِبِ

وَصَدرٍ أَراحَ اللَيلُ عازِبُ هَمِّهِ ... تَضاعَفَ فيهِ الحُزنُ مِن كُلِّ جانِبِ

علىّ لعمرو نعمة بعد نعمةٍ ... لِوالدِهِ ليست بذات عقارب

وثقت له بالنصر إذْ قيل قَد غَزتْ ... كتائب من غسَّان غير أشائب

إذا ما غَزوا الجيش حلق فوقهم ... عصائب طير تهتدي بعصائب

فهم يَتساقون المنيةَ بينهم ... بأيديهمُ بيضٌ رقاق المضارب

---

(1) أقوى الشاعر إذا خالف بين القوافي برفع بيت وجر آخر، كقول النابغة في قصيدة المتجردة

سَقَطَ النّصيفُ، ولم تُرِدْ إسقاطَهُ ... فتناولتهُ ، واتقتنا باليدِ

بِمُخَضَّبٍ رَخصٍ كَأَنَّ بَنانَهُ ... عَنَمٌ يَكادُ مِنَ اللَطافَةِ يُعقَدِ

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنَّ فلولٌ من قراع الكتائب

لهم شِيمةٌ لم يعطها الله غيرَهم من الجود، والأحلامُ غير عوازب

رقاق النعال طيبٌ حُجزاتُهم يُحيّون بالرّيحانِ يوم السباسب

ولا يحسبون الخير لا شرّ بعده ولا يحسبون الشرَّ ضرْبةَ لازب

زُهير بن أبي سُلمى

نشأته وحياته

نشأ زهير بن أبي سلمة بن ربيعة بن رباح المزّني في أقارب أبيه من بني غطفان، ولزم بشامة بن الغدير خال أبيه، وكان رجلاً مقعداً عقيماً حكيماً قد اشتُهِرَ بسداد الرأي وجودة الشعر ووفرة المال، فاغترف من شعره وتأثر بعلمه وحكمه، وظهر ذلك جلياً فيما رصع به من درر الحكمة. ولما مشى الحارث ابن عوف وهرم ابن سنان المرّيان بالصلح بين عبس وذبيان وأطفآ نار الحرب باحتمالهما ديات القتلى عن الحيَّين، وقد بلغت ثلاثة آلاف بعير، استفزته هذه الأريحية فمدحهما بمعلقته. ثم تابع مدحه لهرم بن سنان وأطنب في ذلك حتى أقسم هرم ألا يمدحه زهير ولا يسأله ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً. فاستحيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه، وأصبح إذا رآه في ملأ من الناس قال: (عِمُوا صباحاً إلا هرماً، وخيركم استثنيت). وقال عمر بن الخطاب لبعض أولاد هرم: أشدني بعض مدائح زهير في أبيك، فأنشده. فقال عمر: إنه كان ليحسن فيكم القول. فقال: والله ونحن كنا نحسن له العطاء. فقال عمر: قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم. وكان زهير على جِدَته رحب الأناة راجح الحصاة سديد الرأي شديد الورع مؤثراً للسلم مؤمناً بالله واليوم الآخر. يشهد بذلك قوله في معلقته:

فلا تكتُمنَّ الله ما في صدوركم ليخفى ومهما يُكْتَم اللهَ يُعْلِمِ

يؤخَّر فيوضع في كِتاب فيدَّخر ليوم حساب أو يعجَّل فيُنْقَم

وقد عمَّر زهير حتى نيَّف على المائة كما يؤخذ من قوله:

بدا ليَ أَني عشت تسعين حجة تباعاً وعَشراً عشتها وثمانيا

وتوفي قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة وقد أسلم ولداه كعب وبُجير.

شعره

بيت زهير عريق في الشاعرية: فأبوه وخاله، وأختاه سلمى والخنساء، وولداه كعب وبجْير، من الشعراء المذكورين، وذلك ما لم يكن لغيره. وهو كما علمت أحد الثلاثة الفحول. وفي الناس من يفضله على امرئ القيس والنابغة، لأن شعره يمتاز بصدق اللهجة، وخلوه من الحوشِيَّ والتعقيد، وبعده عن سخف القول وهُجْر الحديث، وجمعه الكثير من المعاني في قليل من الألفاظ. وهو واحد من الشعراء في إجادة المدح وضرب المثل وإرسال الحكمة. وزهير من عبيد الشعر الذين تعملوه ونقحوه. وله قصائد تُعرف بالحوليات يزعمون أنه كان ينظمها في أربعة أشهر ويهذبها في أربعة، ثم يعرضها على خاصة الشعراء في أربعة، فلا ينشدها الناس إلا بعد حول.

تحليل موجز لمعلقته

موضوع معلقته كما علمت مدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان المرِّيين على سعيهما بالصلح بين عبس وذبيان. ولكنه افتتحها على عادة الجاهلين بالوقوف على أطلال الأحبة وتحيتها ونعتها وتنسُّم الذكريات من خلال آثارها، فوقف على الدمن البكم الدوارس من ديار أمِّ أَوفى بعد أن أتى على عهده بها عشرون سنة فلم يعرفها إلا بعد مشقة:

فَلَمّا عَرَفتُ الدارَ قُلتُ لِرَبعِها ... أَلا عِم صَباحاً أَيُّها الرَبعُ وَاسلَمِ

ثم تمثلت في خاطره ظعائن الحبائب متحملات تغشيهن سدول صفيقة النسيج، وكلّه وردية الحواشي، فيتبعهن ببصره الحزين وقلبه الواله، فيصف ما سلكنه من طُرُق وما نزلنه من منازل حتى يبلغن المنزل الذي أردنه، وما أجمل أسلوبه في استحضار هذه الذكرى، حتى لكأنها ماثلة للعيون فلو تَبَصَّر صاحبه قليلا لرآها:

تَبَصَّرْ خَلِيْلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ ... تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ

عَلَونَ بِأَنماطٍ عِتاقٍ وَكِلَّةٍ ... وِرادٍ حَواشيها مُشاكِهَةِ الدَمِ

بكرْن بكوراً واستحرن بسحرة ... فهن لوادي الرس كاليد في الفم

وفيهن مَلهى للصديق ومنظرٌ أنيق لعين الناظر المتوسم

فَلَمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقاً جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحَاضِرِ المُتَخَيِّمِ

ثم انتقل على طريقة الاقتضاب إلى الرجلين اللذين حقنا بالصلح دماء العشيرة فقال لهما:

يميناً لَنِعم السيدان وجدتما على كل حال من سَحيل ومبرم

تداركتما عبساً وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عِطر مَنْشِم

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعاً بمال ومعروف من الأمر نسلم

فأصبح يجري فيهمُ من تلادكم مغانم شتى من إفال المزَنَّم

ثم قطع المدح مؤقتاً ليدعو الخصوم إلى السلم في لين ورفق، ولكنه ذكر الحرب فاشتد وأنكر ما تجر على الناس من أوزار وأضرار:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المُرَجَّم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضرَ إذا ضريتموها فتضرم

فتعرككم عرك الرحا بثفالها وتلْقَحْ كِشافاً ثم تحمل فَتُتْئِمِ

فَتُغْلِلْ لكم ما لا تُغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم

ثم عاد إلى رجُليه فمضى في مدحهما على ما رأبا من صدع لم يحدثاه، ووصف همّ ابن ضمضم بالجناية وعزمه عليها:

وكان طوى كشحاً على مستكنة فلا هو أبداها ولم يتجمجم

وقال سأقضي حاجتي ثم أتقي عدوي بألف من ورائي مُلَجم

فشد ولم تفزع بيوت كثيرة لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم

لدى أسد شاكي السلاح مُقْذَفٍ له لِبَد أظفاره لم تُقَلَّم

رعوا ما رعوا من ظِمْئهم ثم أوردوا غماراً تسيل بالماح وبالدم

فقضَّوا منايا ثم أصدروا إلى كلأٍ مُسْتَوْبِلٍ متوخَّم

ثم غلبت عليه نزعته الإنسانية وطبيعته الفلسفية فوقف موقف الحكيم يتبرم بالحياة ويفكر في الموت ويعظ بالتجارب:

رأيت المنايا خبْط عشواء من تصب ... تمته ومن تُخطئ يعمَّر فيهرم

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو نال أسباب السماء يسلم

ومن يجعل المعروف من دونِ عرضه ... يفره، ومن لا يتَّقِ الشتم يشتم

ومن يجعل المعروف في غير أهله ... يعد حمده ذماً عليه ويندم

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

وكائن ترى من معجِب لك شخصه ... زيادته أو نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف، ونصفٌ فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وإن سفاه الشيخ لا حلْم بعده ... وإن الفتى بعد السفاهة يحلم

الأعشى

نشأته وحياته

هو أبو بصير ميْمون بن قيس بن جَنْدل أحد أمراء الشعر المتكسبين به القائلين في أكثر ضروبه. نشأ باليمامة في قرية تسمى منفوحة، وثَقِف الشعر من طريق الرواية على خاله المسيَّب ابن علس، حتى إذا حصف عقله وارتاض لسانه، انتجع أطراف البلاد وغشى أبواب الملوك يمدحهم ويستجديهم. وفد على بني عبد المدان ملوك نجران فأكرموا ثواءه وأجزل لوا عطاءه، واكتسب من خلاطهم إدمان العقار، والتأثر ببعض الأفكار، فظهر شيء من ذلك في شعره ولاسيما وصف الخمر. وطال عمر الأعشى حتى ابيضت عيناه من الكبر. وسمع بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم فصنه في مدحه قصيدة وعزم الرحلة إليه بالحجاز، فأوجس القرشيون خيفة من إسلامه: وقال لهم أبو سفيان: والله لئن أتى محمداً أو اتبعه لَيَضَرِّ مَنَّ عليكم نيران العرب بشعره، فأجمعوا له مائة من الإبل، ففعلوا، وأخذها الأعشى ورجع؛ حتى إذا دنا من اليمامة سقط من فوق ناقته فدقت عنقه.

شعره

من الرواة وذوي البصر بالشعر من يجعل الأعشى رابعاً لامرئ القيس وزهير والنابغة. ويقولون: أشعر امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب. وهذا وإن كان موضعاً للخلاف يدل على مكانة الرجل. وفي الحق أنك تجد في شعره ما لا تجد في شعر غيره من رونق الحسن، وطلاوة الأسلوب، والبراعة في وصف الخمر والإجادة مع الطول... وكان لشعره جَلَبَةٌ في السمع وروعة في النفس وأثر في الناس، فسمى لذلك صَنَّاجة العرب. ولقد أعز بشعره وأذل؛ وقصته مع المحلق[1]، وفرق القرشيين من إسلامه يدلان على ذلك.

---

(1) المحلق رجل من مغموري العرب وفقرائهم، كان أبا لثماني بنات عوانس لم يتقدم لخطبتهم أحد لمكان أبيهن من الخمول والفقر. فاقترحت عليه امرأته أن يضيف الأعشى عله يشيد بذكره في

نموذج من شعره

من جيد شعره قصيدته اللامية التي عدها بعضهم من المعلقات ومطلعها:

ودّع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل؟

ومنها:

أبلغ يزيد بني شيبان مألكةَ أبا ثبيْت أما تنفَكُّ تأكل

ألست منتهياً عن نحت أثْلتنا ولست ضائرها ما أطّت الإبل

كناطحٍ صخرة يوماً ليوهنها فلم يَضرها وأوهى قرنَه الوعَل

لقد زعمتم بأنا لا نقاتلكم إنا لأمثالكم يا قومنا قُتلُ

قالوا الطراد، فقلنا تلك عادتنا، أو تنزلون فإنا معشر نُزُل

ومن قصيدته التي أعدها لمدح الرسول قوله:

ألم تغْتمض عيناك ليلة أربدا وبتَّ كما بات السليم مسهداً

وما ذاك أرى الدهر الذي هو خائن إذا أصلحت كفّاي عاد فأفسدا

شباب وشيبٌ وافتقار وثروة فلله هذا الدهر كيف تردّدا!

ومنها:

فآليت لا أرني لها من كلالة ولا من وجىّ حتى تلاقى محمدا

متى ما تناَخِى عند باب ابن هاشم تُراحي وتلقى من فواضله ندى

نبيٌ يرى ما لا يرون وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدا

له صدقاتٌ ما تُغبّ وليس عطاء اليوم يمنعه غدا

=

شعره فينبه. فأضافه ونحر له ناقة على فقره، فمدحه الأعشى بقصيدة بليغة مر شيء منها في النماذج وأنشدها في عكاظ فلم يمض عام حتى لم تبق جارية من بناته إلا وهي زوج لسيد كريم.

عنترة العبسي

نشأته وحياته

هو أبو المغلِّس عنترة ابن عمر ابن شداد العبسي، نجله اب شريف وأم حبشية تدعى زُبيبة، فهو من هُجناء العرب وأغربتهم، فانتفى منه أبوه منذ ولادته على عادتهم في أبناء الإماء، ولكنه نزع بنفسه عن حال العبودية، وأخذ يروض نفسه على الطرد والفروسية حتى غدا مسعر حرب وقائد كتيبة. واتفق أن بعض أحياء العرب أغاروا على عبس فاستقوا إبلهم، وتبعهم العبسيون وعنترة فيهم. فقال له أبوه: كرّ يا عنترة. فأجابه وهو يحقد عليه استعباده إياه: العبد لا يحسن الكر؛ وإنما يحسن الحلب والضر. فقال: كر وأنت حرّ. فكر وقاتل قتالا شديداً حتى هزم المغيرين واسترجع الإبل، فاستلحقه أبوه. وأخذ اسمه منذ يومئذ يسير وذكره يطير حتى أصبح مضرب المثل في الإقدام والجرأة وله في تعليل شهرته وشجاعته رأي حصيف لا بأس بذكره. قال له قائل: أنت أشجع الناس وأشدهم، فقال له: لا. قال فلماذا شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزما، ولا أدخل موضعا لا أرى لي منه مخرجا. وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثنى علي فأقتله.

قاد عنترة كتائب عبس في حرب داحس والغبراء فأحسن القيادة، وبلغ أرج السيادة. ثم تنفس به العمر حتى وهن عظمه ورق جلده وقتل حوالي سنة 615م.

شعره

لم يرو عن عنترة في حال رقه من الشعر جيد ولا رديء. لأن العبودية ترين على القلوب وتطفئ ضرام العواطف، فلما استحلفه أبوه وحالفه الفوز في حربه، واستولى حب عبلة على قلبه، جاش الشعر في صدره وجرى على لسانه في الفخر والحرب والحب، فجاء بالمعجب المطرب. تجد لشعره حلاوة الغزل ومتانة الفخر، إلا أن أكثره مدخول النسب لا يمت إليه إلا بتشابه

الأسلوب والغرض. فمن شعره الذي لا دَخلَ في أصله معلقته الرقيقة الفخمة التي نظمها دفاعاً عن شاعريته وإثباتاً لفصاحته: فقد حدثوا أن رجلاً من عبس سابه فذكر سواده وأمه. فقال له عنترة " إني لأحضر البأس، وأوفي المغنم، وأعف عند المسألة، وأجود بما ملكت يدي، وأفضل الخطة الصماء ". فقال ل السابُ. أنا أشعر منك. فقال: ستعلم ذلك. ثم غدا على الناس بمذهبته المشهورة فقطع خصمه ونقض حكمه.

نموذج من شعره

قال من معلقته:

ولقد شربت من المدامة بعد ما ... ركد الهواجر بالمشُوف المعَلم
فإذا سكرت فإنني مستهلك ... مالي، وعرضي وافر لم يكْلم
وإذا صحوت فلا أقصِّر عن ندَى ... وكما علمتِ شمائلي وتكرّمي
ومدجَّج كره الكماة نزاله ... لا مُمعنٍ هرباً ولا مستسلم
جادتْ يدايَ لهُ بعاجل طعنةٍ ... بمثَقَّبٍ صدق الكعوب مقوَّم
فشككت بالرمح الأصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرَّم
فتركته زَر السباع ينشنه ... يقضمن حسن بَنانه والمعصم
لما رأيتُ القومّ أقبل جَمعهم ... يَتذَامرونَ كررتُ غيرَ مذمَّم
يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر في لَبان الأدهم
ما زلت أرميهم بثُغرة نحره ... ولبَانه حتى تسربل بالدم
فازورَّ من وقع القنا بلَبانه ... وشكا إلىّ بعبرة وتَحَمْحُم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ... ولكان لو علم الكلاَم مكلمي
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقْمهاَ ... قِيلُ الفوارس ويْك عنتر أقدِم!
والخيل تقتحم الغبار عوابساً ... ما بين شَيْظمةٍ وأجرد شيْظم

وقال أيضاً:

بكـرتْ تخـوفني الحتـوفَ كـأنني أصبحت عـن غَـرض الحتوف بمعـزِل
فأجبتهـــا إن المنيـــة منهـــلٌ لابـــد أن أسْـــقَى بكـــأس المنهـــل
فـاقْنَيّ حيـاءك لا أبالـك واعلمـي أنـــي امـــرؤ ســـأموت إن لـــم أقتْـــل
إن المنيـــة لـــو تمثـــلُ مثَلـــتْ مثلـــي إذا نزلـــوا بضـــنك المنـــزل
إنـي امـرؤ مـن خيـر عـبسٍ منصباً شـطرى، وأحمـى سـائري بالمُنْصُـل
وإذا الكتيبـة أجحمـت وتلاحظـت ألفيـــت خيـــراً مـــن مُهِـــم مُخْـــول
والخيـل تعلـم والفـوارس أننـي فرقـــت جَمْعَهُـــم بضـــربة فيصـــل
والخيـل سـاهمة الوجـوه كأنمـا تســـقى فوارســـها نقيـــعَ الحنظـــل
ولقـد أبيـت علـى الطـوى وأظلـه حتـــى أنـــال بـــه كـــريم المأكـــل

طرفة بن العبد

نشأته وحياته

نشأ طرفة بن العبد بن سفيان البكري يتيمًا من أبيه، فكفله أعمامه. فأهملوا تربته وأساءوا أدبه. فشب ميالاً إلى الدعة والتبطل، عاكفاً على اللهو والخمر، مولعاً بالوقوع في أعراض الناس. وقد دعاه نزق الشباب أن يهجو الملك عمرو ابن عند على اضطراره إلى رصائه، وافتقاره إلى حبائه. فاحتقدها عليه عمرو وأضمر له السوء. حتى إذا جاءه مع خاله الملتمس يستجديان فضله – وكان المتلمس قد هاجاه أيضاً – هش للقائهما يريد أن يؤمنهما، وأمر لكل منهما بصلة وأحالها بكتابين على عامله بالبحرين ليستوفياها منه. فلما كانا في طريقهما إلى العامل،. داخل المتلمس من الصحيفة وسواس وهم، فالتمس من يقرأها له فإذا فيها: " باسمك اللهم، من عمرو ابن هند إلى المكعبر، إذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه ثم ادفنه حيًا " فألقى الصحيفة في النهر، ثم قال لطرفة: معك والله مثلها. فقال: كلا. ما كان ليكتب لي مثل ذلك. وأخذ وجهه حتى أتى العامل بالبحرين فقتله وعمره ست وعشرون سنة [1].

شعره

كان طرفة منذ الحداثة متوقد الذهن، مضطرم الشعور، حاد الباردة؛ فنبغ في الشعور وعُد من فحوله وهو دون العشرين. ولكنه كعمرو ابن كلثوم لم يشتهر إلا بمعلقته. ولعله كان مكثراً وجهل الرواة أكثر شعره. يمتاز طرفة بصدق الوصف، والبعد عن الغلو فيه، إلا أنه كان معقد التراكيب مبهم المعنى غريب اللفظ، وتجد ذلك كله واضحاً في معلقته التي ابتدأها بالغزل، واستطرد إلى وصف ناقته فوصفها بخمسة وثلاثين بيتاً من عيون الشعر ومبتكره، ثم

---

(1) بدليل قول أخته الخرفق ترثيه:

عددنا له ست وعشرين حجة ولما توفاها استوى سيداً ضخما

فجعنا به لما رجونا إيابه على خير حال لا وليدا ولا قحما

أمعن بعد ذلك في الفخر بنفسه، وهي من أمتن الشعر وأبلغه، وهاك تحليها بإيجاز.

تحليل موجز لمعلقته

ابتدأها طرفة بذكر أطلال (خولة) وتشبيهها ببقية الوشم في ظاهر اليد؛ ثم وقف بها وقفة قصيرة تخيل فيها قباب الحبيبة غداة ظعنها فوصفها وصفاً موجزاً، ثم نعتها هي نعتاً جميلاً هاج في صدره لهم فنجا من تذكاره واحتضاره على ناقة وصف أعضاءها وأوضاعها في إسهاب وإغراب وإجادة:

وإني لأمضي الهم عند احتضاره ... بهوجاء مرقال تروح وتغتدي

تُباري عتاقاً ناجياتٍ، وأتبعتْ ... وظيفاً وظيفاً فوق مَوْر مُعبَّدَّ

مُهابيّةُ المُشْنون مُوجَدةُ القرا ... بعيدة وخْد الرّحل موَّارة اليد

وأَتلعٌ نهاَّضٌ إذا صعَّدت به ... كسكأَن بُوصِيّ بدجلة مُصعْدِ

ثم يفرغ لنفسه فيصفها باللهو في السلم وبالمخاطرة في الحرب فيقول:

إذا القوم قالوا: منْ فَتى؟ خلت أني ... عُنيت فلم أكسل ولم أتبلد

ولست بحَلاَّل التلاع مخَافة ... ولكِنْ متى يسترفد القوم أرفد

فإن تبغني في حلقَة القوْم تْلقَني ... وإن تلتمسني في الحَوانيتِ تصط

ومَا زالَ تشرابي الخمور ولذتي ... وبَيعي وإنفاقي طريقي ومُتلدي

إلى أن تَحَامَتْنِي العشيرة كلها ... وأفردت إفراد البعير المعبّد

رأيت بني غبراء لا ينكروننى ... ولا أهل هذاك الطراف الممدَّد

ألا أيهذا الزاجري أحصرَ الوغى ... وأن أشهد اللذات هل أنت مُخْلدي؟

فإِن كنت لا تستطيع دفع منيتي ... فدعى أبادرها بما ملكت يدي

ثم يعلن في صراحة وصدق أن غايته من الدنيا إنما هي الخمر والحب والنجدة؛ ولولا هذه اللذات الثلاث ما رغب الحياة ولا رهب الموت.

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى ... لعمرك لم أحفل متى قام عُوَّدى

فمنهن سبقى العاذلات بشربه كُمَيْت متى ما تُعْلَ بالماء نزيد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب بهكنة تحت الخباء المعمد
وكرّى إذا نادى المضاف مُجَنَّباً كسيد الغضى ذي السوَّرْة المتورد

ثم يدعوه استعجاله اللذة ومبادرته اللهو وإتلافه المال واقتحامه الخطر انتهازاً لفرصة الحياة واستمتاعاً بقصر العمر إلى نوع من الفلسفة في البخل والموت فيقول:

أرَى قبرَ نحَّام بخيل بماله كقبر غوِيَّ في البطالة مفسد
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدّد
أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة ومَا تنقِص الأيامُ والدَّهرُ ينفدِ
لعمرك إنَّ الموتَ ما أخطأ الفتى لكا الطّوَل المُرْخى وثِنْيَاهُ باليد
متى مَا يشأ يوماً يقده لحتفه ومَنْ في حبل المنيَّة يَنقدِ

ويمضي الشاعر بعد ذلك زارياً على ابن عمه، شاكياً من ظلم قومه، مفتخراً بحسن بلائه وقوة عزمه:

فما لي أراني وابن عمىَ مالكاً متى أذنُ منهُ يَنْأَ عني ويبعد
وظلم ذوي القربى أشد مضاضةً على النفس من وقع الحسام المهتد
أرَى الموت أعدادَ النفوس ولا أرَى بعيداً غداً، ما أقرب اليوم من غد!
أنا الرجل الضَّرْبُ الذي تعرفونه خشاشٌ كرأس الحية المتوقد
إذا ابتدر القوم السلاح وجدتني منيعاً إذا بلّتْ بقائمه يدي
فلو كنتُ وغلاً في الرِّجال لضرَّني عداوةُ ذي الأصحاب والمتوحد
ولكن نفى عني الرّجال جراءتي عليهم وإقدامي وصدقي ومحتدى
ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزوِّد

عمرو بن كلثوم

نشأته وحياته

نشأ عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي بالجزيرة الفراتية بين ذوي الحسب اللباب من تغلب، وشبَّ على خلال العظماء عزيزَ النفس أبي الضيم ذَرِبَ اللسان. وما كاد يناهز الخامسة عشرة من عمره حتى كان طريقة قومه وقائد قبيلته. وكان قطباً لرحا الحروب التي دارت بين بكر وتغلب من جرَّاء البسوس وأبلى فيها البلاء الحسن حتى تصالح الحيان لآخر مرة على يد عمرو ابن هند أحد ملوك الحيرة من آل المنذر. على أن أمَدَ ذلك الصلح لم يطل، فانشقت العصا بين وجوههم ونَزَتْ في رءوسهم الحفيظة، وتلاحوا في مجلس عمرو ابن هند، فقام الحارق ابن حلزة شاعر بكر وألقى معلقته المشهورة فعطفت هوى الملك إلى قومه، وكانت صلعه مع التغلبيين. فانصرف ابن كلثوم موغر الصدر على ابن هند. وحدث بعد ذلك أن الملك قال لبعض خاصته: أتعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي؟ فقالوا لا نعلمها إلا ليلى أم عمرو ابن كلثوم، فإن أباها مهلهل ابن ربيعة، وعمها كليب وائل، وبعلها كلثوم ابن عتاب فارس العرب، وابنها عمرو ابن كلثوم سيد قومه. فأرسل عمرو ابن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله أن يزير أمه أمه. فأقبل عمرو وأمه من الجزيرة في جماعة من تغلب وأمر الملك برواقه فضرب ما بين الحيرة والفرات، وأرسل إلى وجوه مملكته فحضروا. وكان عمرو ابن هند قد أغرى أمه أن تستخدم ليلى بنت مهلهل في قضاء أمر. فلما دخلت عليها الرواق واطمأن بها المجلس، قالت لها: ناوليني الطبق. فأجابتها: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها. فلما ألحت صاحت ليل: واذلاه! فسمعها ولدها فثار به الغضب وقتل ابن هند في مجلسه. ثم عاد تواً إلى الجزيرة فأنشد قصيدته المعلقة. استهلها بذكر الخمر والغزل، ثم وصف فيها أمره مع عمرو ابن هند، وافتخر بنفسه وقومه. ولقد تجاوبتها المجامع وتناقلتها الألسنة وأكثر بنو تغلب من إنشادها وروايتها حتى قال فيهم الشاعر:

ألْهي بني تغلب عن كل مكرُمة قصيدةٌ قالها عمرو ابن كلثوم
يفاخرون بها مد كان أولَّهُم يا للرجال لشعر غير مسئُوم!

وكانت وفاته في أواخر القرن السادس للميلاد.

شعره

عمرو ابن كلثوم شاعر غمر البديهة، رائق الأسلوب، نبيل الغرض؛ إلا أنه مُقلٌ. لم يتقلب في فنون الشعر فلم يرخ العنان لسليقته، ولم يطع سلطان قريحته. وكل ما رو عنه معلقته وبعض مقطوعات لا تخرج عن موضوعها.

نموذج من شعره

قال من معلقته:

أبا هند فلا تعجلْ علينا وأنْظرنا نخبرّك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضا وصدرهنّ حمراً قد رَوينا
ورثنا المجد عن عّليا معدِّ فطاعن دونه حتى يبينا
كأن سيوفنا منا ومنهم مخاريقٌ بأيدي لا عبينا
ألا لا يَجْهلن أحد علينا فنجهْلَ فوق جهل الجاهلينا
بأي مشيئة عَمْرو ابن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا؟
فإن قناتنا يا عمرو أعْيت على الأعداء قبلك أن تلينا
وَقَدْ عَلِمَ القَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ إِذَا قُبَبٌ بِأَبطَحِهَا بُنِيْنَا
بِأَنَّا المُطْعِمُوْنَ إِذَا قَدَرْنَا وأنا المهلكون إذا ابتُلينا
وأنا المانعون لما أردنا وأنا النازلون بحيث شينا
وأنا التاركون إذا سخطْنا وأنا الآخذون إذا رضينا
ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينا
إذا ما المَلْك سام الناس خسفاً أبْينا أن نقر الخسف فينا

لنا في الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا وماء البحر نملأه سفينا
إذا بلغ الفطام لنا صبيٌّ تخر له الجبابر ساجدينا

الحارث بن حِلِّزَة

نشأته وحياته

هو أبو الظليم الحارث بن حلِّزَةَ اليشكري البكري. كان في بني بكر مكان عمرو ابن كلثوم في بني تغلب. وقد اشتهر مثله بمعلقته التي يقال إنه ارتجلها عفو الساعة في حضرة الملك عمرو ابن هند يستدنى بها عطفه، وينضح فيها عن قومه. وكان من أمرها أن بكراً وتغلب بعد أن وضعوا أسلحتهم أمام عمرو ابن هند على أن يأخذ من الفريقين رهائن ليقيد منها للمبغى عليه من الباغي، تراشق الحيان بالتهم [1] ورمت تغلب بكراً بالغدر، وتدافع الفريقان إلى عمرو ابن هند وتلاحوا أمامه، وكان هواه مع التغلبيين. فاستفز ذلك الحارث ابن حلزة – وكان حاضراً – فابتده قصيدته ابتداها وأنشدها وهو متكئ على قوسه. فيقولون أن كفه اقتطعت وهو لا يشعر من الغضب. وقد أجاد في مدح الملك حتى استولى على رأيه، ومال به إلى حزبه، واستل من قلبه سخيمة غرسها تهور النعمان ابن هرم زعيم قومه وعمر الحارث طويلاً حتى زعم الأصمعي أنه أنشد هذه القصيدة وله من العمر خمس وثلاثون ومائة سنة.

شعره

كل ما بين أيدينا من شعره معلقته وبعض مقطوعات يسيرة لا تعلل شهرته ولا تعيين طبقته. فهو في هذا كما قلنا أشبه بطرفة وعمرو ابن كلثوم. على أن مطولته بلغت مكان الإعجاب لإحكام نسجها وتشعب فنونها، وارتجالها في موقف واحد. وقد قال أبو عمرو الشيباني. " لو قالها في حول لم يلُم " ويقولون. إنه أنشدها من وراء ستور لِبَرَصِه، فأمر الملك برفعها استحسانا لها وتكرمة له. بدأها بالغزل ثم وصف ناقته وعير التغلبيين مواقع ظهروا عليه فيها،

---

(1) وسبب هذه التهم أن الملك بعث في بعض حاجه يركب من تغلب فهلكوا. فادعت تغلب أن فتياتهم نزلوا على ماء لبكر فشلوهم عنه وحملوهم على البداء فماتوا عطشاً. وعارضت بكر بأنهم سقوهم وهدوهم الطريق فضلوا وهلكوا

وأتى على كثير من أيام العرب، ومدح عمرو ابن هند، وافتخر بقومه وحسن بلائهم عنده.

نموذج من شعره

قال من معلقته:

إن إخواننا الأراقم يعلو ... ن علينا في قِيلهم إخفاء
يخلطون البريءَ منَّا بذي الذَّنب ... ولا ينفع الخلىّ الخلاء
أيها النَّاطق المرَقّش عنَّا ... عند عمرو وهل لذاك بقاء؟
لا تخَلنا على غراتك إنا ... قبل ما قد وشى بنا الأعداء
فبقينا على الشنّاءةِ تنيناً ... حصونٌ وَعزّةٌ قعساء
مَلكٌ مُقسطُ وأفضل منْ ... يمشي ومن دون ما لديه الثناء
أيما خُطةٍ أردتم فأدُّوهاَ ... إلينا تسعى بها الأملاء
فاتركوا الطيخ والتعاشي وإمَّا ... تتعاشوا ففي التعاشي الدَّاء
واذكروا حِلفَ ذي المجاز وما قّدم ... فيه العهود والكفُلاء
واعلموا أننا وإياكُم فيمَا ... اشترطنا يوم اختلفناَ سَواء
أعلْينا جناح كندة أن ... يغمَ غازيهمُ ومنَّا الجزاء؟

ومنها في وصف التأهب للرحيل:

أجمعوا أمرهم عشاء فلمَّا ... أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
من مناد ومن مجيب ومن تصهال ... خيلٍ خلال ذاك رُغاء

ومنها:

لا يقيم العزيز بالبلد السهلِ ... ولا ينفع الذليل النَّجاء
ليس ينجى مواثلاً من حذارٍ ... رأس طودٍ وحرَّةٌ رجلْاء

لبيد بن ربيعة

نشأته وحياته

هو أبو عقيل لَبيدُ بن ربيعة العامري. نشأ رَبيب الندى والبأس. فأبوه ربيعة المعترين، وعمه مُلاعب الأسَّنة فارس مصر. وسبب قوله الشعر أن الربيع ابن زياد أمير عبس، وهم أخواله، دخل على النعمان ابن المنذر فذكر بالسوء بني عامر وهم قومه. فلما دخل العامريون على الملك وعلى رأسهم مُلاعب الأسنة غضَّ منهم، وذوى وجهه عنهم، فنال ذلك من بني عامر وشق عليهم. وكان لبيد يومئذ صغيراً فسألهم أن يشركوه في أمرهم فاستصغروه. ولما ألح في المسألة أجابوه. فوعدهم أن ينتقم لهم بهجاء الربيع حتى يحول بينه وبين منادمة الملك. فقالوا له إنا نبلوك. فقال: وماذا ذاك؟ قالوا: تشتم هذه البقلة. وأمامهم بقلة دقيقة القضبان، قليلة الورق، لاصقة بالأرض، تُدعى الثَّرَبة. فقال: " هذه التربة لا تذكى ناراً ولا تؤهل داراً، ولا تسر جاراً؛ عودها ضئيل، وخيرها قليل، وفرعها كليل أقبح البقول مرعى، وأقصرها فرعاً، وأشدها قلعا " فأذنوا له فهجاه بأرجوزة مُقّذِعة أولها: مهلا أبيت اللعن لا تأكل مع: الخ.

فنفر منه الملك ومقته وطرده وأكرم العامريين وأدناهم. قالوا وكان هذا أول ما اشتهر به لبيد. ثم أخذ يقول الشعر قصاره وطواله، حتى ظهر الإسلام فأقبل على الرسول في وفد من قومه فأسلم، وحفظ القرآن وهجر الشعر، حتى زعموا أنه لم يقل بعد الإسلام إلا بيتاً واحدً وهو:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى لبست من الإسلام سربالا

ولذلك عُدَّ جاهلياً وإن عمَّر في الإسلام طويلاً.

ولما مُصرت الكوفة ذهب إليها في خلافة عمر وأقام بها حتى توفى في أول خلافة معاوية سنة 41 من الهجرة. وقد عاش كما قيل خمسا وأربعين سنة ومائة حتى قال بحق:

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها وسؤالِ هذا الناس كيف لبيد

شعره

كان لبيد ضافي الجود، وافر اللب، نبيل النفس، جم المروءة، مُشيَّع القلب. فسألت أخلاقه وعواطفه في شعره، وتمثلت معاني النّبل والكرم في فخره؛ وجاء نظمه فخم العبارة، منضد اللفظ، قليل الحشو، مزدانـاً بالحكمة العالية والموعظة الحسنة والكلم النوابغ. ولعله أحسن الجاهلين تصرفاً في الرثاء وأقدرهم على تصوير عواطف المحزون الصابر بلفظ رائق وأسلوب مؤثر.

وأما معلقه فهي قوية بالألفاظ متينة الأسلوب، تصور حياة البادية وأخلاق البدو، وتصف هوى النفوس الماجنة ومطمح القلوب الكبيرة.

بدأها بوصف الطلول وذكرى الحبيب، ثم أطال في وصف ناقته على نحو ما فعل طرفة، ثم مضى يصف حياته وملذاته وجوده وبأسه حتى انتهى إلى الفخر بقومه، وكل ذلك في صدق وإخلاص وقصد.

نموذج من شعره

قال في معلقته:

إنّا إذا التقتِ المجَامِعُ لم يَزَلْ ... منّا لِزَازُ عظيمةٍ جَشّامُها

ومُقَسِّمٌ يُعْطِي العَشِيرَةَ حَقَّهَا ... ومُغَذْمِرٌ لِحُقُوقِهَا هضامها

من معشر سنَّت لهم آباؤهم ... ولكل قوم سنَّةٌ وإمامها

لا يَطبعون ولا يَبُور فَعالهم ... إذ لا تميل مع الهوى أحلامها

فاقنع بما قسم المليك فإنما ... قسم الخلائق بيننا علامها

وذا الأمانَةُ قُسِّمت في معشر ... أوفى بأوفر حظنا قسَّامها

فبنى لنا بيتاً رفيعاً سَمكه ... فسما إليه كهلها وغلامها

وهم السعاة إذا العشيرة أفْظعَتْ ... وهمُ فوارسها وهم حكامها

وهم ربيعٌ للمجاور فيهمُ ... والمرملاتِ إذا تطاول عامها

وقال يرثي أخاه أربد:

بكينا وما تُبْلى النجوم الطوالع ... وتبقى الديارُ بعدنا والمصانعُ
وقد كنت في أكنافِ جار مَضنَّة ... ففارقني جار بأربَدَ نافع
فلا جزع إن فرق الدهر بيننا ... فكل امرئ يوماً به الدهر فاجع
وما الناس إلا كالديار وأهلها ... بها يوم خلَّوها وراحوا بلا قع
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يَحُر رَمادا بعدَ إذ هو ساطع
وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولابد يوماً أن تردَّ الودائع
وما الناس إلا عاملان فعاملٌ ... يُتبِّرُ ما يبني وآخر رافع
فمنهم سعيد آخذ بنصيبه ... ومنهم شقي بالمعيشة قانع
لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ... ولا زاجراتُ الطير ما الله صانع

حاتم الطائي

نشأته وحياته

حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي توفى أبوه وهو وليد فنشأته أمه وكانت كثيرة المال، نفَّاحة اليدين بالنوال، لا تليق مما تملك شيئاً. فحجر عليها أخواتها وحبسوها سنة علها تذوق طعم البؤس، وتدرك فضل الغنى. فلما أطلقوها وملكوها قطعة من مالها أتتها امرأة من هوازن مستجدية فمنحتها إياها وقالت: مسني من الجوع ما آليت معه ألا أمنع سائلا شيئاً.

ربته هذه الأم الوهوب، فورَّثته هذا الخلق وغذته بلبانه، فشبَّ على الندى يهتز له ويغلو فيه حتى بلغ منه حد السفه. فكان وهو غلام عند جده يُخرج طعامه، فإذا وجد من يؤاكله أطل وإلا طرحه. فساءه منه هذا التبذير فألحقه بالإبل، فمر به ذات يوم عبيد ابن الأبرص وبشر ابن أبي خازم والنابغة الذبياني وهم في طريقهم إلى النعمان فاستقروه، فنحر لكل منهم بعيراً هو لا يعرفهم. فلما تسمَّوا له فرق الإبل وكانت قرابة ثلاثمائة! وجاء جده مبتهجاً يقول له: " طوقتك مجد الدهر طوق الحمامة " وحدثه بما صنع، فقال له: إذن لا أساكنك. فقال: إذن ى أبالي. ثم قال من أبيات:

وإني لعفُّ الفقر مشترك الغنى ... وتارك شكل لا يوافقه شكلي

وأجعل مالي دون عرضىَ جُنَّة ... لنفسي وأستغنى بما كان من فضلي

وما ضرني أن سار سعدٌ بأهله ... وأفردني في الدار ليس معي أهلي

وفشا ذكر حاتم في الجود، وجرت سماحته مجرى المثل، وروى عنه في ذلك الأعاجيب وأكثرها من صرف الحديث [1]. وما سبيل الرواة في أخبار

---

(1) نفس عليك من تلك ألأخبار خبرا يسند إلى إحدى زوجتيه النوار أو ماوية؛ ويمتاز ببلاغة تعبيره وحسن تصويره، وهو أشبه شيء بقصيدة لهوجو في ديوانه (سير الدهور) عنوانها (الناس الفقراء) Lee Pquvres gens وقد ترجمتها في كتابي: (مختارات من الأدب الفرنسي) قالت الرواية:

" أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض واغبر أفق السماء. وراحت الإبل حدبا حدابير، وضنت المراضع على أولادها فما تبس بقطرة. وحلقت السنة المال وأيقنا بالهلاك. فإنا لفي ليلة صنبر بعيدة ما بين

حاتم في الجود إلا سبيلهم في أشعار أمية في الدين، وعنترة في الحماسة، وأبي العتاهية في الزهد، وأبي نواس في المجون: يفتعلون الشيء من ذلك لغرض من الأغراض ثم يعزونه إلى من هو أشبه به من هؤلاء.

وكان حاتم كما قال ابن الأعرابي مظفّراً. إذا قاتل غلب، وإذا سابق سبق، وإذا ضرب بالقداح فاز. وكان إذا أهل الشهر الأصم (رجب) – وكانت مصر تعظمه في الجاهلية – نحر كل يوم عشرا من الإبل فأطعم الناس واجتمعوا إليه.

ثم بَنى حاتم على النوار ثم على ماوية بنت عفزر إحدى بنات الملوك من اليمن، فولد له منهما عبد الله وسَفَّانة وعدي، وقد أدرك هذان الإسلام فأسلما.

ولم يزل حاتم حاله في إطعام الطعام وإنهاب المال حتى مضى لسبيله سنة 605م.

أخلاقه

كان حاتم على خلق عظيم قَّل من أُونيه في الجاهلية: كان طويل الصمت رقيق القلب جم المروءة لم يقتل قط واحدَ أمه، ولم يظلم ضعيفاً من بني عمه:

فإني وحدّي رُبّ واحدِ أُمّه أجرتُ فلا قتلٌ عليه ولا أسر

ولا أظلم ابن العم إن كان إخوتي شهوداً وقد أودي بإخوته الدهر

=

الطرفين إذ تضاغى سبيتنا جوعا: عبد الله وعدي وسفانة، فقام حاتم إلى الصبيين وقمت أنا إلى الصبية. فوالله ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل. وأقبل يعللى بالحديث فعرفت مايريد، فتناومت. فلما تهورت النجوم إذا شيء قد رفع كسر البيت ثم عاد فقال. من هذا؟ فقالت أنا جارتك فلانة. أنا أتيتك من عند صبية يتعاوون عواء الذئاب من الجوع. فما وجدت معولا إلا عليك ابا عدي! فقال احمليهم فقد أشبعك الله وإياهم. فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي جانبها أربعة كأنها نعامة حولها رثالها فقام إلى فرسه فوجأ لبته بمدية، خر ثم كشف عن جلده ودفع المدية إلى المرأة فقال لها: شأنك فاجتمعنا على اللحم لشوي وتأكل ثم جعل يمشي في الحي يأتيهم بيتًا بيتاً فيقول: هبوا أيها القوم! عليكم بالنار. فاجتمعوا والتفع في ثوبه ينظر إلينا، فوالله منه مضغو وإنه لأحوج إليه منا. فأصبحنا وما على الآرض من الفرس إلا عظم وحافر ". وموضع المشقة في هذا الصنيع أن حاتما كان يجود بكل شيء ما عدا فرسه وسلاحه.

وقد وصفته سفَّانة ابنته يوم قامت بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ترجو أن يخلى عنها وهي سبيَّةٌ قالت: كان أبي يفك العاني ويحمي الذِمار ويَقرى الضيف ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط. فقال لها الرسول (ص) يا جارية هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه. خلو عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق.

شعره

لا جرم أن اللسان ترجمان القلب، والشعر مرآة الشعور. وما قدمناه لك من أخلاق حاتم تجده متمثلا في شعره، مؤثرا في قَرْضه؛ فلفظه سهل رقيق، وأسلوبه محكم وثيق، وغرضه سامٍ شريف، على غير ما نعهد في شعراء البادية. ولذلك قال ابن الأعرابي: " جوده يشبه شعره " ومعنى ما يقول أنه غزير البحر فياض بالأمثال والحكم الداخلة في باب الجود والعذل فيه، وجمال الذكر والحرص عليه. وما ترى من التفاوت في شعره إنما يرجع إلى كثرة المدسوس عليه والمنسوب زورا إليه، وهو من شعراء الطبقة الثانية. وقد جمع شعره في ديوان وطبع بليدن وبيروت.

نموذج من شعره

قال من قصيدة له:

أماويَّ إن المال غادٍ ورائح ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر

أماويَّ إما مانعٌ فمبيِّنٌ ... وإما عطاء لا يَنَهْهه الزجر

أماويَّ ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

أماويَّ إن يصبح بقفزة ... من الأرض لا ماء لدي ولا خمر

تَرَى أْن ما أنفقت لم يك ضرني ... وأن يدي مما بخلت به صفر

أماويَّ إن المال إما بذلته ... فأوله شكر وآخره ذكر

وقد يعلم الأقوام لو أن حاتما ... أراد ثراء المال كان له وفر

وقال أيضاً:

تحلم عن الأذنين واستبق ودّهم ... ولن تستطيع الحلم حتى تَحلما
ونفسَك أكرمها فإنك إن تَهُن ... عليك فلن تلقى لها الدهرَ مُكرما
أهِنْ في الذي تهوى التلاد فإنه ... يصير إذا ما مت نهبا مقسَّما
قليلا به ما يحمدنَّك وارثٌ ... إذا ساق مما كنت تجمع مغنما
متى ترْقِ أضغان العشيرة بالأنى ... وكف الأذى يحسم لك الداء محسما
وعوراء قد أعرضتُ عنها فلم تضرْ ... وذي أوَدٍ قومتُه فتقوما
وأغفر عوراء الكريم ادِّخارَه ... وأعرض عن شتم اللئيم تكرما
ولن يكسب الصعلوك مجدا ولا غنى ... إذا هو لم يركب من الأمر معظما
لحا الله صعلوكاً مناه وهمُّه ... من العيش أن يلقى لبوساً ومَطْمعا

ومن معانيه الجميلة قوله:

إذا كان بعض المال ربًّا لأهله ... فإني بحمد الله مالي معبَدَّ

أمية ابن أبي الصلت

نشأته وحياته

أبو عثمان أمَيّة ابن ابي الصلت الثقفي كان يمارس التجارة طوَال عمره، فتارة إلى الشام وتارة إلى اليمن. وكان مفطوراً على التدين، فلقي في بعض أسفاره بعض القسيسين والرهبان فسمع شيئاً من الأسفار الأولى فالتمس الدين ولبس المسموح وحرم الخمر وشك في الأوثان وطمع في النبوة، وقال في دين إبراهيم:

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دينَ الحنيفة زور

فلما بُعث الرسول صلى الله عليه وسلم سُقط في يده وكفر به حسداً وقال: إنما كنت أرجو أن أكونه. فنزل فيه قوله تعالى:﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥﴾ [الأعراف:175]. ثم أخذ يحرض على الرسول ويرثى قتلى أعدائه في واقعة بدر، فنهى عن رواية شعره في ذلك. وكان إذا سمع الرسول شعره في التوحيد يقول: آمَن لسانه وكفر قلبه. ثم فرَ مية بابنته إلى أقصى اليمن وعاد إلى الطائف فعلقّتْه هناك أو هْاقُ المنية. وقد قال لما أخذته غشية الموت وأفاق منها: لبيكما لبيكما! ها أنذا لديكما لا مال يفديني، ولا عشيرة تنجيني! إن تغفر اللهم تغفر جما، وأيُّ عبد لك لا ألما؟ ثم اقبل على من حضر وقال:

كل عيش وإن تطاول دهراً منتهى أمره إلى أن يزو

ليتني كنت قَبل ما قد بدا لي في رءوس الجبال أرعى الوعولا

اجعل الموتَ نصْب عينيك واحذر غَوْلة الدهر، إن للدهر غولا

وأكثر تاريخ هذا الشاعر من زور الحديث وتلفيق الرواة.

شعره

انصرفت قريحة أمية إلى المعاني الدينية فاشتهر بها أمره، واصطبغ بها شعره، فوصف الله وجلاله، وذكر الحشر وأهواله، ونعت الجنة والنار والملائكة، ونظم حوادث التوراة كخراب سدوم وقصة إسحاق وإبراهيم،

وأدخل في الشعراء ولم يعرفها العرب بعض ذلك من العبرية وبعضه من محدثاته. فكان يسمى الله عز اسمه بالسُّلطَيط والتغرور، والسماء بالصاقورة والحاقورة، ويزعم أن للقمر غلافاً يدخل فيه يوم الخسوف اسمه الساهور؛ ولذلك كان اللغويون لا يحتجون بشعره.

ومذهب ابن أبي الصلت في شعره لم يعهد في عصره، فنحله العلماء ما جاء على شاكلته ولم يعرفوا قائله. ورواة الشعر يعدونه في الطبقة الأولى، ولكن ما بين أيدينا من شعره لا يؤيد هذا الرأي، فإن أكثره قلق اللفظ سخيف النسج نابي القافية، إلا أن يكون الزمان قد عفى على أجوده. فقد قال الحجاج على المنبر: " ذهب قوم يعرفون شعر أميَّة، وكذلك الدراس الكلام ".

نموذج من شعره

قال يعاتب ابناً له كان قد عقه:

غذوتك مولوداً ومُنْتُك يافعاً ... تُعَل بما أجنى عليك وتنهل
إذا ليلة نابَتْك بالشجو لم أبت ... لشكواك إلا ساهراً أتمْلمل
كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني، فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنني ... لأعلم أن الموت حتم مؤجل
فلما بلغتَ السنَ والغاية التي ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمل،
جعلتَ جزائي غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل

ومن قوله:

الحمد لله مُمْسانا ومُصْبحنا ... بالحمد صبَّحنا ربي ومسَّانا
رب الحنيفة لم تنفد خزائنه ... مملوءة، طَّبق الآفاق سلطانا
ألا بي لنا منا فيخبرَنا ... ما بعد غايتنا من رأس محيانا
وقد علمنا لو أن العلم ينفعنا ... أنْ سوف يلحق أخْرانا بأولانا

نشأة الخط في بلاد العرب

الخط مظهر من مظاهر الحضارة، وأثر من آثار الاجتماع والتجارة. لذلك كان أسبقَ الأمم إليه المصريون والفينيقيون. وأجهل الناس به البدويون، فلم يعرفه العرب إلا في الجهة التي عرفتها الحضارة وارتقت فيها العمارة وهي اليمن. كان اليمنيون يستعملون خطاً يسمونه المسند باسم لغتهم، يكتبونه حروفاً منفصلة ويزعمون أن الوحي نزل به على كاتب هود. ولكن المكتشفات الأثرية وعلم مقارنة اللغات أثبتت أن الخط الفينيقي مصدر الخطوط السامية، وأن الآرامي والمسند بأنواعه[1] مشتقان منه، ومن الآرامى اشتق الخط النبطي في حوران، والسطر نحيلي السرياني في العراق، وهذان الخطان هما الأصلان للخط العربي، فمن الأول تولد الشكل النسخى، ومن الثاني تولد الشكل الكوفي، وكان يعرف قبل الإسلام بالحيرى نسبة إلى الحيرة. وقد تعلم عرب الشمال الأول أثناء رحلاتهم إلى الشام، وعلموا الآخر من الأنبار: تعلمه بْشرٌ ابن عبد الملك الكندي أخو أكيْدر ابن عبد الملك الكندي صاحب دومة الجندل؛ وخرج إلى مكة فصاهر حرب ابن أمية جد معاوية، فعمله جماعة من القرشيين فكثر من يكتبه منهم. ولما مُصّرت الكوفة [2] وشاع استعماله في الكتابة على مسجدها وقصورها ناله شيء من النظام والزخرف فسمى بالكوفي.

---

(1) أنواع الخط المسند هي الصفوى والثمودي واللحياني في الشمال، والحميري في الجنوب.

(2) أمر بتصيرها الخليفة عمر حين رأى العرب قد أكفت وجوههم وخددتها وخومة المدائن ودجلة: أمر سعد ابن ابي وقاص أن يرتاد للعرب منزلا بريا بحريا لا يحول بينه وبينهم فيه بحر ولا جسر. فوقع اختياره على موضع الكوفة فعكر به في المحرم سنة 18هـ. ثم أذن الخليفة أن يبني بيوتاً من القصب فأحرقت، فأعاد بناءها باللبن عن إذنه. وفي هذا العام نفسه بنيت الأبنية بالبصرة وقد نزلها المسلمون سنة 14هـ، فصار البلدان منذ يومئذ مركبن حربيين تجاريين لهما في تاريخ الإسلام والأدب مكان ظاهر.

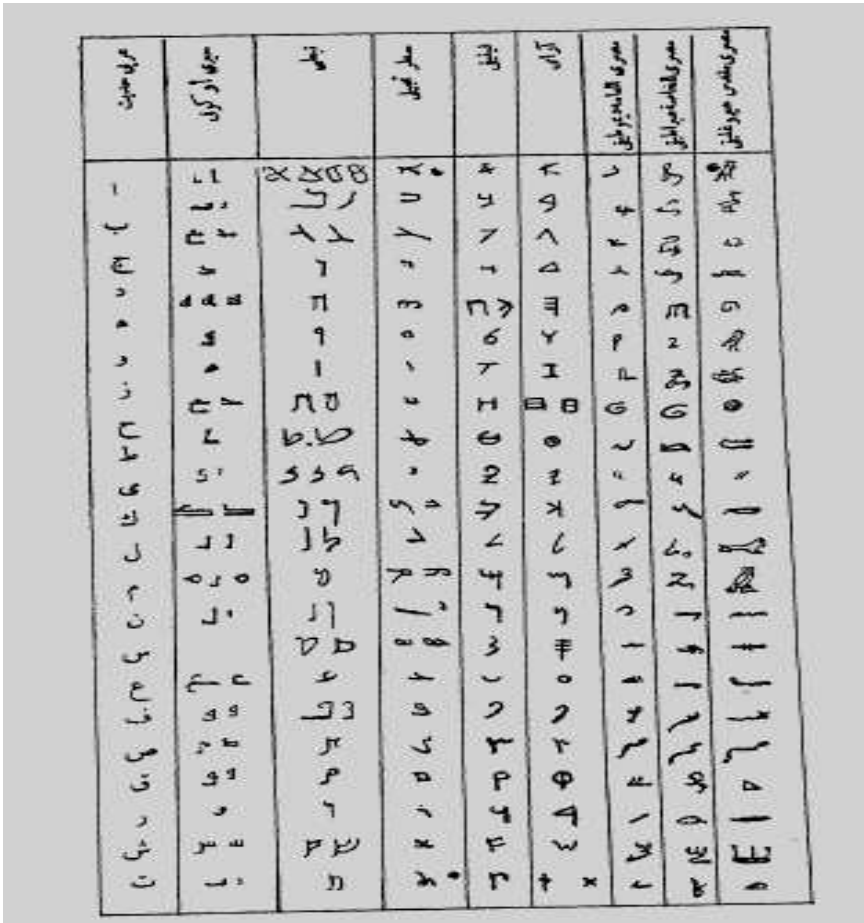

الأرقام العربية	0	1	2	3	4	5	6	7	8	9
العربية-الهندية	٠	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
العربية-الهندية الشرقية (الفارسية والأردية)	٠	١	٢	٣	٤	٥	۶	۷	۸	۹
الهندية (الهند الحالية)	০	১	২	৩	৪	৫	৬	৭	৮	৯
تاميل		க	உ	ங	ச	ஞ	ஹ	எ	அ	ஈ
الحميرية (المسند)		𐩱	𐩲	𐩳	𐩴	𐩵	𐩶	𐩷	𐩸	𐩹
الرومانية (الأوروبية)		I	II	III	IV	V	VI	VII	VIII	IX